

معسكر الكشافة الأهلئ برومانيا

- ٨ -

تَمَّ عَمَّا بَيْنَ الْكَشَافَةِ مِنْ أُخُوْدٍ
صَادِقَةٍ وَرِبَاطٍ وَثِيْقٍ . . . وَمَا
أَنْدَى كَشَافًا بُولَنْدِيًّا سَلَّمَ عَلَيَّ
نَمَّ شَدَّ عَلَيَّ يَدِي ، وَأَخَذَ يَخْطُبُ
فِي حَمَاسَةٍ وَتَأَثَّرَ بِلِقْنَتِهِ الْبُولَنْدِيَّةِ
الَّتِي لَا أَفْهَمُ مِنْهَا شَيْئًا ، وَأَنَا
صَايْتُ أَنْظَاهِرُ بِالْقَهْمِ مُبْتَمِّمَا ،



وَأَهْرُ رَأْسِي كَأَنَّمَا أَذْرِكُ مَا يَقُولُ . ثُمَّ تَأَثَّرْتُ
لِنَفْسِي ، فَانْتَظَرْتُ حَتَّى انْتَهَى ، ثُمَّ شَدَدْتُ
عَلَيَّ يَدِي كَمَا شَدَّ عَلَيَّ يَدِي ، وَأَنْطَلَقْتُ أَسْمِعُهُ
خُطْبَةً عَرَبِيَّةً فِي نَهْرَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَحَرَكَاتٍ
مُتَّسِمَةٍ ، وَهُوَ يَنْظَاهِرُ كَمَا نَظَاهَرْتُ
بِالْقَهْمِ ، فَيَبْتَدِئُ مَرَّةً ، وَيَهْرُ رَأْسَهُ مَرَّةً أُخْرَى ،
وَإِخْوَانُهُ الْبُولَنْدِيُّونَ يَنْظُرُونَ إِلَيْنَا مَبْهُوتِينَ .
وَدَدْتُ سَاعَةَ الرَّجِيلِ فَوَقَّعْتُ الْجُمُوعَ الزَّاخِرَةَ
كُلَّهَا فِي حَلْفَةٍ وَقَدْ (كَتَفْتُ) أَذْرُعَهَا ،
وَأَنْسَكَ كُلَّ يَدٍ أُخْيِيهِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ ،
وَأَنْطَلَقْنَا هَهُؤُا الْأَيْدِي فِي رِفْقِي ، وَنَشِيدُ الْأَشُودَةِ

مَرَّتِ الْآيَاتُ الثَّلَاثَةُ الْأُولَى
فِي الْمَسْكَرِ ، وَالْمَطَرُ لَا يَنْقَطِعُ
رُؤْلُهُ ، وَتَمَتَّتْنَا ، وَغَمَّ هَذَا الْجَوُّ
الَّذِي لَمْ نَعُوْدْهُ ، بِوَقْتِ جَمِيلٍ
لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَنْسَاهُ . وَكَانَ
الْبَرْتَامِجُ الَّذِي وَصَعْتَاهُ لِلرُّحْلَةِ
يَنْفِضِي بِأَنْ نَتْرَكَ الْمَسْكَرَ لِتُزَوَّرَ
مَنَاطِقُ رُومَانِيَا وَمُدَّتْهَا الْأُخْرَى . . . وَذَهَبْنَا

إِلَى رَيْدِسِ الْمَسْكَرِ فَشَكَرْنَا لَهُ ذَلِكَ الْكَرَمَ
الَّذِي عَمَّرْنَا بِهِ الرُّومَانِيُونَ ، وَوَدَّعْنَا قَبْلَ
سَفَرِنَا وَدَاعَ الْمُتَأَثَّرِ لِفِرَاقِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ ، الَّتِي
يَسُودُهَا الْحُبُّ وَالْوِلَاةُ وَالْإِخْلَاصُ . ثُمَّ انْتَقَلْنَا
إِلَى الْمَدِينَةِ فَادْعُنَا شُكْرًا خَالِصًا لِكَشَافَةِ
الدُّوَلِ الْمُشْتَرَكَةِ جَمِيًّا ، رَدَّدَهُ مُكَبَّرُ الصَّوْتِ
فِي أَرْجَاءِ الْمَسْكَرِ كُلِّهِ ، فَلَمْ يَبْقَ وَاحِدٌ
إِلَّا عَرَفَ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ غَدًا سَيَرْحَلُونَ .
وَأَنَّى الصَّبَاحُ ، فَإِذَا الْجُمُوعُ لَاحْضَرَتْ لَهَا قَدْ
أَتَتْ لَوْدَاعِيَا أَسْفَةَ مُتَأَثَّرَةً ، وَإِذَا عِيَارَاتُ رَفِيقَةٍ

الوداع الدونية ، التي نقلها إلى اللغة المصيرية
العامية بلذها الأصلي الأستاذ كمال فغبي
المهندس ، وهي :

« إزاي بيون عا النفس تنس الود يا اخوان ا
إزاي بيون علينا نيب عشرة زمان ا
عشان عشرة أيام زمان ، من أجل أيام زمان ا
تسرب مما تحب الوثام من أجل أيام زمان ا »
فإذ انتهيتا من هذا أسرعنا إلى السيارة
فأخذنا مقاعدنا فوق المتاع ، وغادرتنا أرض
المسكر ، والجموع تهتف مودعة وتلوح بالأيدي
والمناديل . أما نحن فقد أجهت أعيننا نحو
المسكر زُد حجة المجهين .

* * *

كانت أيامنا الباقية في رومانيا أيام حركة
دائمة وتقل لا يعرف فيه معنى الاستقرار ،
وكان أول واجب علينا أن نرود قبر (الجندي
المجهول) ، فزيارته ينبغي أن تسبق كل ماعداها
من زيارات ... ترى ماذا يكون قبر ذلك
الجندي المجهول الذي حرصنا على زيارته ؟
أراه أرا من هذه الآثار القديمة كأي الهول
عندنا أو الأهرام ؟ أم تراه مكانا للتزده

يقصده الناس للرياضة والاستجمام ؟ أم هو
بناء من تلك الأبنية الفخمة التي تمثل تقدم
العلم وتصور بدائع الفنون ؟

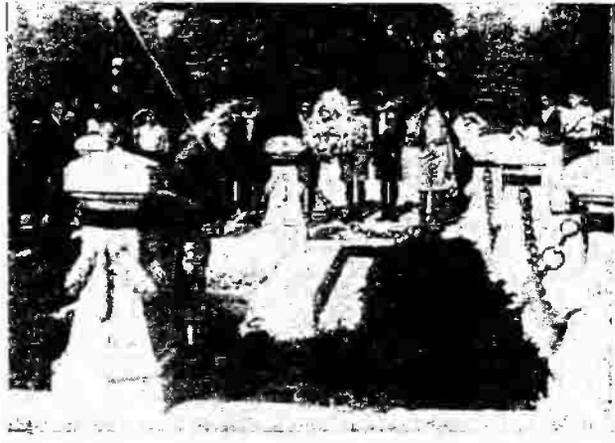
ليس قبر (الجندي المجهول) شيئا من
هذا ، بل هو يسمو عليها كلها ، وينزل في
قلوب الناس منزلة التقديس ، هو رمز التضحية
والموت في سبيل الوطن والدفاع عن الشرف
القومي حتى آخر رمق في الحياة ... هو أرو
خالد لآلاف الجنود الذين وقفا في ساحات الحرب
المطعم ما بين عامي ١٩١٤ ، ١٩١٨ م مدافعين
عن شرف بلادهم .

ولم نشأ رومانيا - ولا غيره من الدول -
أن يتركوا هؤلاء الضحايا يضيئون في عالم
النسيان ، فاحتفلت كل أمة بتقنين أحد الجنود
الذين ماتوا في تلك الحرب احتفالا مهيبا مش
فيه الملوك والأمراء .

وهكذا أصبح قبر الجندي المجهول رمزا
للتضحية والشجاعة والوقاء . ولعلك فهمت الآن
معنى تلك التسمية ، وعرفت أن القبر اغنير
قبر الجندي المجهول يرى فيه كل أب ، فجع
في ابنه ، قبر ابنه ، ولترى فيه كل أم ، أصيبت

فِي وِلْدَانِهَا وَرَوْلِدِهَا، وَيَلْبَسِي فِيهِ الْأَخْ قَبْرَ أَبِيهِ وَالصَّاحِبِ
مَنْوَى صَاحِبِهِ . وَمِنْ أَجْلِ هَذَا يَحْرُسُ النَّاسُ إِذَا
هَبَطُوا بِلْدَانًا أَنْ يَسُدُّوا زِيَارَةَ قَبْرِ الْجُنْدِيِّ

وَقَبْرِ الْجُنْدِيِّ الْمَجْهُولِ فِي
رُومَانِيَا بِقَعٍ فِي مَكَانٍ جَمِيلٍ
مِنْ (حَـدِيقَةِ كَارُول) ،
إِخْدَى الْحَدَائِقِ الْبَدِيعَةِ فِي
بُوخَارِسْتِ ، وَسَطَ رُوجِ خَضْرَاءِ
خَلَابَةِ ، وَبَيْنَ جَدَاوِلِ يَجْرِي
فِيهَا الْمَاءُ ، تَسْمَعُ لَهَا خَرِيرًا عَذْبًا
مَقْبُولًا وَإِلَى جَانِبِهِ (الْمَتْحَفُ



على قبر الجندي المجهول في رومانيا

الْمَجْهُولِ ، يَضْمُونُ عَلَيْهِ أَكَالِيلَ
الرَّهْرِ وَيُحْيُونَ فِيهِ أَرْوَاحَ الْأَبْرَارِ
مِنَ الشَّهَدَاءِ . . . وَمِنْ أَجْلِ هَذَا
حَرَصْنَا ، مَحْنُ الْكَشَافَةِ ، عَلَى أَنْ
تَزُورَ قَبْرَ الْجُنْدِيِّ الْمَجْهُولِ فِي
رُومَانِيَا ، وَعَلَى أَنْ تَنْشَرَفَ بِالْوُقُوفِ
أَمَامَةَ مَعْظَمِينَ مُحِبِّينَ .

وَزِيَارَةَ قَبْرِ الْجُنْدِيِّ الْمَجْهُولِ



الاستعداد للعودة

تَقْضِي بَأَن تُخْبَرَ الْحُكُومَةُ بِهَا ، وَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ تُحَاطَ
الزِّيَارَةُ بِمَا يَنْبَغِي لَهَا مِنْ إِجْلَالٍ وَتَمْظِيمِ .
الْحَرْبِ) ، الَّتِي يُخَلِّدُ حَرْبَ رُومَانِيَا ،
وَيُصَوِّرُ مَا كَتَبَ لَهَا مِنْ نَصْرِ ، وَمَا أَبْلَاهُ

ابناؤها مِنْ شَجَاعَةٍ وَاسْتِسَالٍ . . .

وَقَدْ قَامَ عَلَى حِرَاسَةِ ذَلِكَ الْقَبْرِ جُنْدِيٌّ
مُدَجَّجٌ بِالسَّلَاحِ ، وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِ
الْقَبْرِ شُمَّلَةً مُوقَدَةً ، تَسْتَبْرِئُ نَارُهَا
رَمَزًا لِمَا أَوْفَدَهُ الشَّهَدَاءُ فِي قُلُوبِ الْأُمَّةِ مِنْ
حَاسِمَةٍ ، وَمَا أَشْمَلَهُ اسْتِشْهَادُهُمْ مِنْ نُورِ
الْإِيمَانِ الَّذِي سَيَّهَدِي رُومَانِيَا ، فِيمَا تَخْطُو
مِنْ خَطَوَاتِ .

وَصَلْنَا إِلَى قَبْرِ الْجُنْدِيِّ الْمَجْهُولِ فِي
صُفُوفِ مَنَظَمَةٍ ، وَخَطَوَاتِ مُتَرْتِبَةٍ
مُوحَّدَةٍ ، وَقَدْ تَقَدَّمْنَا إِكْلِيلَ الزَّهْرِ الْفَآخِرِ ،
كَأَقْلٍ مَا بُمَكِينٍ أَنْ يُقَدَّمَ إِلَى قَبُورِ الشَّهَدَاءِ
وَتَقَنَّا فِي صَمْتٍ تَكَادُ تُحْبَسُ فِيهِ أَنْفُسُنَا ،
وَقَدْ أَطْرَقْنَا الرَّهْوسَ إِجْلَالًَ وَإِكْبَارًا .

وَبَدَأَتْ فَصِيلَةُ الْجُنْدِ تَحِيَّهَا ، ثُمَّ ارْتَفَعَ
صَوْتُ البُوقِ يَنْفُخُ فِيهِ الْجُنْدِيُّ فِي أَنْعَامِ
مُرْتَرَةٍ يَهْرُ النُّفُوسَ هَرَا . فَإِذَا انْتَهَتْ تَحِيَّةُ
الْجُنْدِ جَاءَ دَوْرُنَا فِي التَّحِيَّةِ ، وَتَقَدَّمَ الرَّئِيسُ
فَوَضَعَ يَدَهُ إِكْلِيلَ الزَّهْرِ عَلَى الْقَبْرِ ، وَعَدَّنَا
إِلَى صَمْتِنَا الْأَوَّلِ لِتَحِيَّةِ الْجُنُودِ قَبْرَ أَحِبِّهِمْ

وَأَنْتَهَتْ أَيَّامُ الرَّحْلَةِ وَلَمْ نَلْمَسْ فِيهَا سَأْمًا ،
وَلَمْ نَعْرِفْ غَيْرَ الْمَرْجِ وَالْفَرْجِ وَالشُّرُورِ . . .
وَقَدْ زُرْنَا مَتَاحِفَ رُومَانِيَا ، وَرَأَيْنَا أَهْمَ الْأَمَاكِينِ
الَّتِي تَسْتَحِقُّ الزِّيَارَةَ ، وَقَضَيْنَا فِي الْجِبَالِ ،
كَمَا قَضَيْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ أَيَّامًا أُخْرَى . . .

ثُمَّ كَانَتْ حَفْلَةُ الْوَدَاعِ عَلَى ظَهْرِ الْبَاخِرَةِ
وَتَحْنُ عَلَى بَدْنِ سَاعَاتِ مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، جَلْسَةً
اسْتَمْرَضَ الرَّئِيسُ فِيهَا أَيَّامَ الرَّحْلَةِ وَحَوَادِثَهَا ،
وَبَدَأَ يُبَيِّنُ مُمَآخَظَاتِهِ عَنْ أَعْمَالِ الْأَعْضَاءِ ،
يَمْدَحُ مِنْهَا مَا يَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ ، وَيَنْقُدُ مِنْهَا
مَا يَسْتَحِقُّ النِّقْدَ ، وَتَحَمَّدُ اللَّهُ أَنْ أَنْتَهَتْ
الرَّحْلَةُ ، وَأَنْ عُدْنَا إِلَى بِلَادِنَا أَصِحَاءَ سَالِمِينَ . .
ثُمَّ أَبِي كَرَمُ الرَّئِيسِ أَنْ تَمُرَّ الرَّحْلَةُ مِنْ
دُونِ أَنْ يُقَدَّمَ لِكُلِّ وَاحِدٍ تَذْكَارًا ،
هُوَ صُنْدُوقٌ صَصِيرٌ مِنَ (السُّكُومِ) ،
فَتَحَنَاهُ فَانْطَلَقْنَا صَاحِحِينَ ١١ أُنْتَدِرِي فِيمَ لَقْتِ
فَطَعُ (السُّكُومِ) فِي دَاخِلِ الصَّنَادِيقِ ١٢
لَقَدْ لَقْتِ فِي أَوْزَانِي مِنْ فِتْنَةِ الْجَنِيهِ وَالْخَمْسِينَ

قِرْنًا ، هِيَ قِيَمَةٌ مَا بَقِيَ لِكُلِّ عَضْوٍ
مِنْ أَعْضَاءِ الرُّحْلَةِ مِنْ اشْتِرَاكِ الَّذِي دَفَعَهُ
قَبْلَ السَّفَرِ وَقَدْ ظَهَرَ مِنْ هَذَا أَنَّ كَلًّا مِنَّا
قَدْ تَكَلَّفَ فِي رِحْلَتِهِ هَذِهِ ثَمَانِيَةَ جُنِيَّاتٍ ،
لَا تَزِيدُ شَيْئًا .

يَا لَجَمَالِ الرُّحْلَةِ ۱۱ وَيَا لِرِخْصِ السَّفَرِ ۱
وَيَا لِفَضْلِ مَادِيَةِ الْكُشْفَةِ الَّتِي عَلَّمْتَنَا كَيْفَ

يَكُونُ النَّتْعُ مَعَ الْبَسَاطَةِ وَالْإِفْتِصَادِ ۱۱
وَالآنُ وَدَاعًا يَا أَخِي الْكُشَافَ ، أَرْجُو
لَكَ نَجَاحًا فِي عَمَلِكَ ، وَوَقْتًا سَعِيدًا فِي إِجَارَتِكَ ،
وَإِلَى الْلِقَاءِ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ عَلَيَّ أَسْتَطِيعُ
أُحَدِّثُكَ عَنْ مُعَسِّكِ الْكُشَافَةِ الدَّوْلِيِّ بِهَوْلَنْدَا ،
فِي الصَّيْفِ الْقَادِمِ وَهُوَ مِنَّا قَرِيبٌ م
أَخوك الجوال عمار

فريد — (بقية النور في الصلوة الثانية)

وَأَخَذَ بِغَالِبِ ذَلِكَ الْخَاطِرِ الْجَدِيدِ قَائِلًا :
« وَالسُّنَنِي نَعَيْتُ مِنْ حَمْلِ هَذِهِ السَّلَّةِ وَمِنْ حَتَّى
أَنْ آخِذَ أَجْرًا عَلَى مَا فَعَلْتُ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ فَالسَّيِّدَةُ
لَا تَنْتَظِرُ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ بُرْتَقَالَاتٍ » غَيْرَ أَنَّ
الصَّوْتِ الْخَفِيِّ اسْتَمَرَّ يَدْوِي فِي أُذُنَيْهِ : « فَرِيدُ ۱۱
هَذِهِ الْبُرْتَقَالَةُ لَيْسَتْ لَكَ ۱۱ »

وَتَذَكَّرَ نَعْمًا أُمَّهُ الَّتِي كَانَتْ تَنْهَاهُ دَائِمًا
عَنْ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى مَا لَمْ يَسَّرْ لَهُ . فَتَرَدَّدَ قَلِيلًا
ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ ، وَأَخْرَجَ الْبُرْتَقَالَةَ وَأَعَادَهَا
إِلَى السَّلَّةِ ، ثُمَّ سَارَ تَوًّا بِإِلَّا تَرَدَّدَ إِلَى مَنْزِلِ السَّيِّدَةِ .
« لَقَدْ أَحْضَرْتُ إِحْدَى عَشْرَةَ بُرْتَقَالَةً . »

صَاحَ فَرِيدُ وَهُوَ يُؤَمِّلُ فِي أَعْمَاقِ قَلْبِهِ أَنْ تُعْطِيَهُ

السَّيِّدَةُ الْبُرْتَقَالَةَ الزَّائِدَةَ . وَلِسَكْنَهَا خِيَّاتٌ
ظَنَّهُ وَلَمْ تَفْعَلْ . بَلْ شَكَرْتَهُ وَحَمَلْتَهُ السَّلَامَ
إِلَى وَالِدَيْهِ .

وَخَرَجَ فَرِيدٌ مُتَثَابًا ، وَالسُّنَنِي لَمْ يَلْبَثْ
أَنْ عَادَ إِلَيْهِ الْبِشْرُ وَالْفَرَحُ وَأَخَذَ بِصَفْرِ وَيُنْبِي
وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ : « لَوْ أَنَّي أَخَذْتُ الْبُرْتَقَالَةَ
لَمَا خَفِيَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ وَلَهَانَ عَلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ
أَنْ أُمُدَّ يَدِي إِلَى مَا لَيْسَ لِي ، وَلَا صَبَحْتُ
لِصَا مِنْ أَجْلِ بُرْتَقَالَةٍ ۱۱ بُرْتَقَالَةً لَا نُسَمِّنُ
وَلَا نُفِدُّ مِنْ جَوْعٍ ۱۱۱ فَاللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ
وَالشُّكْرُ ۱ »